القصة القصيرة في قطر

دراسة فنية إجتماعية

د. محمد قافود   د. حسن عيد

د. إقبال هيكل

مقدمة

على مدى ثلث قرن من الزمان اجتاحت منطقة الخليج العربي ثورة حضارية شاملة تزامنت مع اكتشاف البترول وتزايد موارده ، وانعكست آثارها على أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للإنسان في هذه المنطقة ولقد طغت مظاهر التحضر بمقوماتها المادية على ملامح الأصالة التي تميزت بها المنطقة منذ قرون طويلة ، والتي تمثلت فيما رسبته البيئة الصحراوية والبيئة البحرية في أعماق الإنسان الخليجي من قيم اجتماعية وروحية ، تمثل ضرورة حضارية تضرب بجذورها في عمق الزمان لقرون بعيدة .

لم يقتصر الأمر على مظاهر التحديث الوافدة التي أطاحت بملامح

البيئة فأحلت العمارات الشاهقة بطرزها المعمارية الغريبة محل القرى والبيوت التقليدية ، وغيرت من الأساليب الحياتية الموروثة باستخدام الوسائل المدنية والتكنولوجية المستحدثة . وقد واكب ذلك أيضاً سيل متدفق من الوافدين الذين تعددت منابعهم ، وتباينت هويتهم ومعظمهم ينتمون إلى دول الشرق الأقصى وشبه القارة الهندية أي أنهم يختلفون عن المواطنين أصحاب الأرض أصلاً ولغة ودیناً وتراثاً ، كما أصبحوا يشكلون النسبة الغالبة من سكان المدن الخليجية[1] .

ولقد أثار هذا النزوح بقوامه المادي والبشري انزعاج المفكرين والباحثين حيث أنه يؤدي كما يقول الدكتور حسن الخياط إلى « قطع الجسور بين الماضي والحاضر ، وإلى طمس معالم التراث الحضاري بالمنطقة » بل إن أثره يمتد إلى جوهر العلاقات الإنسانية وسلوكيات المواطنين حيث يرى الدكتور الرميحي أن اقتلاع الإنسان الخليجي من البيئة الحضارية والاجتماعية التي تعود عليها قد قطع جذور العلاقات الاجتماعية الراسخة[2] .

وتنسحب تلك المؤثرات على « قطر » باعتبارها إحدى دول الخليج التي تجمعها بباقي دوله ظروف جغرافية وتاريخية وحضارية مشتركة .

---

(١) يشير الدكتور حسن الخياط في كتابه « الرصيد السكاني لدول الخليج العربية » إلى أن نسبة الوافدين بمدينة الدوحة وضواحيها يبلغون (١٤٧٫٠٠٠) نسمة ويشكلون نسبة كبيرة من سكان المدينة وأن معظمهم من الهند وباكستان وبنجلاديش وسيرلانكا وكوريا والفلبين وتايلاند وتيوان وماليزيا وغيرها .

(٢) مجلة الدوحة . العدد ٨٦ فبراير ١٩٨٣م .

من هنا تبرز أهمية هذه الدراسة لتأصيل الشخصية القطرية بأبعادها ومحاولة تأكيد خصائصها المميزة في مواجهة تلك التأثيرات الوافدة . وسوف نتبع في هذه الدراسة منهجاً تاريخياً لاستقصاء هذه الملامح والخصائص ، ثم نسعى إلى مظاهر الإبداع للإنسان القطري خاصة في مجال القصة القصيرة ، لنستشف من خلاله ملامح هذه الشخصية وأبعادها من الحاضر ونتقصى مدى ارتباطها أو انسلاخها عن مقوماتها الحضارية الأصيلة .

والشخصية القطرية كما هو معروف شخصية عربية أصيلة ، تمتد جذورها إلى شبه الجزيرة العربية ، ثم أدّت هجرتها من البيئة الصحراوية البدوية إلى البيئة البحرية الخليجية إلى اختفاء سمات عديدة مميزة قبل أن تتحول إلى حياة المدينة ، وتغزوها مظاهر التحديث المعاصرة . ومن هنا يقتضي الأمر أن نبدأ من العام إلى الخاص ، بمعنى أن نتعرف على الشخصية العربية بصفة عامة ونستوضح مقوماتها وملامحها الأساسية ثم ننتقل إلى الشخصية الخليجية بما أضفته عليها حياة البحر من سمات مميزة ، ثم نتابع مدى تجسيد هذه الشخصية في الأعمال القصصية للكتاب القطريين المعاصرين ، ونخلص بما يبرزه تناول هذه القصص وتحليلها من دلالات ومؤشرات .

وقد كان لجهد الباحثة المتدربة « نوره فخرو » بالوحدة الأدبية لمركز الوثائق والدراسات الإنسانية الدور الأكبر في جمع هذه القصص من الدوريات ، مما هيأ للباحثين المادة التي قاموا بتحليلها ودراستها . والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل .

ماهر حسن فهمي

الباب الأول

أبعاد الشخصية

د. إقبال هيكل

أولاً : سمات الشخصية

قبل أن نتطرق إلى دراستنا للشخصية العربية بصفة عامة ، والشخصية الخليجية والقطرية بصفة خاصة ، ينبغي أولاً أن نحدد مدلول مصطلح (الشخصية) الذي يشيع استخدامه بين الباحثين المتخصصين والعامة على السواء .

فمن الناحية اللغوية تشتق كلمة (شخصية) من الفعل (شخص) بمعنى ظهر أو بدا أمام الآخرين ، ومن ثم فهي تعني حضوراً أمام الآخرين له معالمه وأبعاده .

أما من الناحية السيكولوجية فإننا نجد الكثير من التعريفات لكلمة (الشخصية) تتفاوت بتفاوت اتجاهات مدارس علم النفس المختلفة وإن كانت جميعها تتفق على مفهوم عام لهذا المصطلح وهو أن الشخصية تعني جملة الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية التي تميز شخصاً عن آخر تميزاً واضحاً ، وهذه الصفات لا تبدو منعزلة عن بعضها البعض ، وإنما تمثل وجوهاً متكاملة تشكل في مجموعها نمطاً أو أسلوباً منظماً من الاستجابات لمثيرات العالم الخارجي ومعطياته ، كما أنها تحكم علاقة الشخص بعالمه

بدءاً من الإدراك إلى التفكير إلى الانفعال إلى السلوك[1] .

وتمشياً مع المنهج التحليلي الذي تنتهجه العلوم الإنسانية الحديثة ، منذ عهد علم النفس إلى تحليل الشخصية الإنسانية عامة إلى سمات إنسانية فهناك سمات جسمية تشمل المظهر الخارجي كالقامة والبنيان والصوت والحركة وسمات عقلية معرفية تشمل القدرات العقلية والمعارف والخبرات الخاصة . وسمات وجدانية وانفعالية تتصل بالحالة المزاجية والاستقرار الانفعالي . وسمات اجتماعية تعكس موقف الفرد من السلطة والقيم الاجتماعية عامة ، وميله إلى السيطرة أو الخنوع وإلى المسالمة أو العدوان ، وسمات خلقية كالصدق والكذب والأمانة والخداع ، والشهامة والجبن . . . إلخ .

ويقصد بالسمات التي تشكل بناء الشخصية تلك السمات الثابتة ثباتاً نسبياً ، وتبرز بالتالي في غالبية المواقف التي تجابه الإنسان وليس ما يبدو في بعض المواقف التي تحكمها ظروف معينة والشخصية المتكاملة هي التي تنتظم في بنائها تلك السمات في تكامل وانسجام ، ولا يصطرع بعضها مع البعض بما ينتهي بها إلى حالة غير سوية[2] .

الشخصيـــة الفردية والشخصية الجماعية :

وإذا كان لفظ الشخصية على المستوى الفردي يعني بالمفهوم السيكولوجي أن سماتاً ثابتة نسبياً تحدد استجابات الفرد لمثيرات العالم

---

(١) فرج أحمد فرج ، محاضرات في علم النفس ، جامعة عين شمس ١٩٧٤م ص ٦٥ .

(٢) أحمد عزب راجح . أصول علم النفس . الباب الخامس .

الخارجيّ وتحكم علاقته به في مجالات الفكر والسلوك والوجدان فإنه يمكن أن ينسحب أيضاً على الشخصيّة الجماعية لشعب ما ، فنقول مثلاً أن الشخصية العربية أو القطرية تعني مجموعة السمات والخصائص الثابتة نسبياً التي تحكم استجابة الشعب العربي أو القطري لمظاهر الحياة والكون من حوله وتحدد بالتالي رؤياه وأسلوب حياته وإبداعه .

والواقع أن الشخصية الإنسانية وإن كانت تتسم بالتفرد إلاَّ أنها محصلة لمجموعة متفاعلة من العوامل والمؤثرات الفكرية والاجتماعية والبيئية التي تسهم في تكوينها . ومن ثم يمكن أن يقال : أن هناك شخصية جماعية لشعب ما تتمثل في مجموع الأفكار والمشاعر الموجودة في هذا المجتمع ، والتي تنعكس بالتالي في وعي الفرد وتحكم نظرته للكون والحياة ، وتحدد أسلوب استجابته لمعطياتها . وهذا هو ما يعنينا بالنسبة لدراستنا هذه وليس الخصائص أو السمات الشكلية الخارجية ، وإذا كانت الفلسفات الغربية ـ بدءاً من الفلسفة الاغريقية حتى الوجودية في العصر الحديث ـ قد أولت الشخصية الفردية اهتمامها ، وضخمت من إحساسها بذاتيتها ، فإننا نجد العكس في الفلسفة الشرقية التي تعلي من قيمة (الجماعية) بمعنى اندماج الأفراد في وحدة كلية لها إدراك جماعي .

ويعبر عالم الاجتماع والفيلسوف التركي « حنيا كوك آلب » عن هذا الاتجاه بقوله : « إن الشخصية الإنسانية لا تصل إلى مرتبة القداسة إلاَّ حين تصبح حاملة للوعي الاجتماعي . عندما تفقد نفسها كل القيمة بطريقة صوفية . وتعني في الوعي الأعم ، وعي المجتمع »[1] .

---

(١) محمد خلف الله وآخرون ، الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، ص ٧١ .

وتتجلى هذه الشخصية الجماعية للشعوب في عصور ترابطها الفكري والوجداني وما يخلفه ذلك من إحساس بالوحدة والتكامل مما ينعكس في حياة أفرادها ومناحي نشاطاتهم الفكرية ، وصور إبداعهم الأدبي والفني الذي يعبر عن الوجدان الجماعي .

الشخصيـــــة العربيـــــة :

لقد بدأت الشخصية العربية الجماعية وتأكدت ملامحها الجوهرية في ظل الإسلام بفعالية ومقومات الروحية التي صهرت الشعب العربي في بوتقة واحدة ، وأشاعت في كيانه طابع التجانس ، وخلفت في عصور ازدهاره وحدة فكرية ووجدانية تبرز واضحة في فلسفته وآدابه وفنونه الإسلامية بطرازها المميز . ولعل أبرز مظهر لهذا الشعور الجماعي ما يشير إليه الأستاذ « هارولد . ب . سمث » في مقال له عن « مذهب الإسلام في الإنسان » حيث يقول :

« في العرف الإسلامي تصور يتعلق بالفرد في الجماعة ، ويمنح الناس وسيلة للترابط ، وإحساساً بالاتحاد ـ لا يوجد أحياناً في التصورات الغربية الحديثة للإنسان ـ هذه الشخصية المتحدة يعمل على تكوينها التصور الخاص بدار الإسلام » أي تآخي المؤمنين . وليس هذا التصور مجرد تفكير نظري ، إنه واقع محسوس يضفي على كل مسلم شعوراً بالترابط الوجداني مع كل مسلم آخر ، كما يهبه إحساساً بالأمن . فهو ينتمي إلى كل يعلو على فروق اللون والطبقة والجنس Race إنه يستطيع أن يحس بأنه في داره في أرض شاسعة متناثرة من الساحل الأطلنطي لأفريقيا

إلى قلب المحيط الهادي ، حينما كان الإسلام هو الدين السائد والثقافة الغالبة[1] .

وهكذا نرىٰ أنه بالرغم من التفاوت الضئيل في ملامح البيئة العربية ما بين صحراوية وزراعية وبحرية . وما ينتج عن ذلك من اختلاف في النشاط البشري ، فإن العقيدة الإسلامية كان لها الأثر الأكبر في تشكيل قسمات الشخصية العربية وتحديد جوهرها ، وخاصة فيما يتعلق بفهم الإنسان لنفسه ولعلاقته بمجتمعه ، وبالجماعة الإنسانية عامة ، فالإسلام نظام عام يحكم رؤية الإنسان وسلوكه الحياتي ، وينظم علاقته بربه وعلاقته بمجتمعه على السواء .

واستناداً لكل هذا فإن استخلاصنا للسمات الأساسية للشخصية العربية سوف ينبع من العقيدة الإسلامية ، والتقاليد الدينية والثقافية المستمدة منها .

أولاً ـ السمـــات الروحيـــة :

يعرف الإنسان العربي المسلم أنه مدين بوجوده لله سبحانه ، فهو الذي خلقه ونفخ فيه من روحه ، وجعله خليفة له في الأرض بما يميزه عن سائر المخلوقات ويجعل له علاقة فريدة بربه .

وبالرغم من هذا الإيمان بتميزه عن سائر المخلوقات فإنه لا يضخم من ذاتيته أو يتعالى بإحساسه بفرديته ، وإنما يوقن أنه جرم صغير في هذا

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، ص ٦٣ .

الكون الفسيح الذي تأتلف فيه عناصر الحياة في كل متسق .. وهذا على العكس من نظرة الإنسان الغربي الذي ضخمت الفلسفة الغربية إحساسه بفرديته ، وجعلت منه محوراً للوجود . ونتيجة لتلك النظرة الكلية الشاملة من جانب الإنسان العربي المسلم إزاء الكون ، فقد اتسمت رؤيته بنزعة روحية تقوم على الحدس ، حيث تتجاوز الظواهر الحسية الملموسة وتصبو للكشف عن جواهر الأشياء ، كما تتعدى الواقع المرئي كي تصل إلى الحقيقة الكامنة وراءه . هذا بالإضافة إلى أن البيئة الصحراوية الغالبة في الوطن العربي ، وما يحتويها من فضاء شاسع متسع قد ولَّد في نفسه الشعور باللانهائي واللامحدود ، وحفزه دائمًا للسعي وراء المطلق .

ويوضح لنا الدكتور زكي نجيب محمود هذا المفهوم السائد لدى الإنسان الشرقي والذي ينعكس في صور إبداعه الفني خاصة حيث يتجاوز الجزئيات والمظاهر العابرة الزائلة ، إذ يقول :

« فليس الخلود وليس الدوام وليس السكون إلاَّ للجوهر الذي تكون تلك الحالات الظاهرة الطارئة إحدى حالاته ، وسبيل إدراك الجوهر الخالد هو الحدس الناقد ، هو حدس المتصوف وبصيرة الفنان ، وأنها لفطرة تنتهي بصاحبها إلى الاعتقاد الجازم بفناء الجوانب الحسية الزائلة من شخص الإنسان ومن الطبيعة على السواء ، فكل صفة لأي كائن نعلم عنها أنها صفة خاصة بهذه اللحظة من حياة ذلك الكائن ، أو خاصة بهذا الظرف المعين الذي يحيط به ، هي صفة زائلة وإدراكها لذاتها لا يعني شيئاً ، ولا يغني عن الحق شيئاً . والمهم هو أن ندركها ونستشف

وراءها جوهراً لا يقتصر وجوده على هذه اللحظة المعينة ولا على هذا الظرف الموقوت . . وهو الجوهر الذي لا تعرف طبيعته تمايزاً ولا تبايناً بين أجزائه ، لأنه متجانس متصل لا تجزئه فيه ولا كثرة ولا نفور ، هذا الجوهر الذي يتبدى من الأشياء ألواناً وأشكالاً هو وحده الذي يفلت من قبضة الموت هو وحده الباقي »[1] .

هذه السمة الروحية التي تنطوي على نزعة صوفية قد مازجت وجدان الشخصية العربية فدفعها دائمًا إلى التخلص من قيود المادة ، والتسامي فوق عالم الحسيات . وقد انعكست هذه السمة الروحية بصفة خاصة في الفنون العربية الإسلامية وطرائق معالجتها حيث ابتعدت عن المحاكاة والتشبه ، واتجهت إلى التجريد الروحي والرغبة في التعبير عن خفايا الحس في محاولة ملحة للوصول إلى الوجود الحقيقي المطلق .

السمـــــات العقليـــــة :

وما دمنا نبحث في العقيدة كمنبع أساسي ساهم في تشكيل جوهر الشخصية العربية ، فإننا نجد سمة أخرى مميزة إلى جانب السمة الروحية وهي « العقلانيــة » ذلك أن الإسلام دين عقلي ، فالعقل لا يتناقض مع العقيدة بل يكملها وينسجم معها ، وإذا ما تأملنا القرآن الكريم دستور هذا الدين العظيم نجد أن الكثير من آياته تدعو الإنسان إلى التفكير والتأمل ، ويحثه على النظر والتدبر ويطالبه بأن يعمل وظائف العقل في البحث والاستنباط ليزداد قناعة بربه وعقيدته .

---

(١) زكي نجيب محمود ، الشرق الفنان ، ص ٦٣ .

﴿ أَوَلم ينظروا إلى ملكوت السموات والأرض وما خلقَ الله من شيء ﴾ (الأعراف : ١٨٤) .

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ (الغاشية : ١٦) .

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (محمد : ٢٤) .

﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أُولئك كالأنعام بل هم أضل ، أُولئك هم الغافلون ﴾ (الأعراف : ١٧٨) .

فالإسلام في حقيقته يعتبر ثورة على الجمود العقلي ، وخروجاً على التقاليد والاتباعية ، حيث يجعل من المعرفة شرطاً للإيمان حتى يجيء عن فهم واقتناع ، وليس عن تقليد أو اتباع للأفكار والمفاهيم الموروثة .

ويرتبط بهذه السمة العقلية بالتبعية الاتجاه العلمي الذي يستند إلى احترام الدين للعقل الإنساني ، وتقدير قيمة العلم والعلماء . فقد جاء في محكم الآيات بالقرآن الكريم :

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات ﴾ (المجادلة : ١١) .

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٨) .

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (فاطر : ٢٧) .

ومن الأحاديث الشريفة :

« مداد العلماء خير عند الله من دم الشهداء » .

« من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وتأتي كلمة العلم في تلك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة إطلاقاً لتشمل كل معاني العلم والمعرفة الإنسانية التي تكفل للإنسان استقراره وتقدمه ، وتحقق حسن خلافته في الأرض[1] .

ولا جدال في أن هذه السمات العقلية وتلك النزعة العلمية التي تميزت بها الشخصية العربية في العصور الإسلامية الزاهرة كانت من أهم عوامل نضجها ومصدر تفوقها الحضاري على غيرها من شعوب العالم .

« القدرية » في الفكر الإسلامي :

وما دمنا بصدد الحديث عن السمات العقلية للشخصية العربية فإن ذلك يقودنا إلى تناول قضية هامة من قضايا العقيدة والعمل في آن واحد وهي « القدرية » أو « الجبر والاختيار » . وتنبع أهمية هذه القضية من ارتباطها بمفهوم الحرية الإنسانية وما يصدر عن هذا المفهوم من فلسفات وأفكار تنعكس بالتالي في صور الإبداع الأدبي ، وتؤثر بالضرورة في عقول الناس ووجدانهم وسلوكهم في الحياة .

---

(١) انظر محمد خلف الله ، موقف الإسلام من المعرفة والتقدم الفكري ص ٣٠ ـ ٣٩ .

وقد تناول الأدب اليوناني القديم في ملاحمه ومسرحياته هذه القضية التي ترتبط بحرية الإرادة الإنسانية ، وهل الإنسان حر مختار أم أنه مجبر تحكمه إرادة عليا تملي عليه ما ينفذه ، واستند في معالجتها إلى الميثولوجيا الإغريقية بما تقوم عليه من عقائد وثنية تؤمن بتعدد الآلهة ، وان وراء تلك الآلهة قوة مبهمة يطلق عليها هوميروس (الضرورة الحتمية) تتحكم في مصائر البشر . وتفرض إرادتها على الآلهة أنفسهم . ومن ثم نرى (أوديب) في مسرحية « سوفوكليس » منساقاً إلى تنفيذ ما فرضته الآلهة رغمًا عنه ، وتبوء بالفشل كل محاولاته للهروب من قدره المحتوم .

وفي عصر الفلسفة الإغريقية بدءاً من القرن الخامس قبل الميلاد نشأت فكرة مناقضة لهذا التفكير الميثولوجي على يد (فيثاغورس) الذي قال : « إن الإنسان مقياس كل شيء » ، وأصبح هناك اعتقاد بأن الإنسان يستطيع بذكائه وقدراته العقلية والجسمية الخارقة أن يتحكم في بيئته ، ويقرر أعماله ومصيره بما يكفل له السعادة التي يصبو إليها[1] .

ومنذ عصر النهضة الأوربية ونتيجة لإحياء الآداب والفلسفة الإغريقية طغت فكرة الإنسان ذي الإرادة الحرة المطلقة ، وترددت في كثير من الفلسفات والأعمال الأدبية الغربية .

وإبان ازدهار الحركة العلمية في القرن الثامن عشر والتي أدَّت إلى اكتشاف العديد من الحقائق البيولوجية عن الإنسان ، كالغدد الصماء

---

(١) د . عز الدين إسماعيل ، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

وإفرازاتها التي تؤثر على مزاج الإنسان ، وعواطفه وانفعالاته ، وكذلك ظهور النظريات الاجتماعية والنفسية التي تهتم بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان ، والعوامل المؤثرة في تربيته وتنشئته وتنعكس في مظاهر سلوكه واتجاهاته ، أقول نتيجة لذلك كله ظهرت المدرسة الطبيعية في الفكر والأدب ، والتي تنظر إلى الإنسان على أنه محصلة لكل هذه العوامل البيولوجية والاجتماعية والنفسية ، ومن ثم ترىٰ أن (قدر) الإنسان لا يفرض عليه من الخارج ، وإنما ينبع من داخله متمثلاً في كل هذه العوامل التي تحكم مزاجه وعواطفه ، وتوجه سلوكه وتصرفاته رغماً عنه .

ولقد كان لهذه المدرسة تأثير واضح في مجال الأدب وخاصة في المسرح والرواية ، امتد أثره إلى كثير من الكتاب المعاصرين ولكن . . . ترى ما موقف الإسلام من هذه القضية الشائكة ، وما هي نظرته إلى الإنسان ومدىٰ حرية إرادته وقدرته على تحديد مصيره به أو بصورة أخرىٰ . ما هو مفهوم الإنسان العربي المسلم إزاء هذه القضية التي لا بد وأن تمثل جانباً من جوانب شخصيته روحياً وعقلياً .

يقول الدكتور محمد خلـف الله :

« لا مراء في أن القرآن يتضمن آيات يفهم منها غير العارفين بحقيقة الإسلام أن الحوادث الكونية وما يقع على أيدي العباد من أفعال ليس إلاَّ حرمات ضرورية ، وليس إلاَّ تطبيقاً وتنفيذاً لما تقرر في الأزل أن يقع . وأن فيه آيات أخرىٰ أكثر من الأولى فتؤكد أن الإنسان فاعل مختار ، وانه لهذا مسئول عن كل ما يقع منه ، غير أنا إذا قرأنا القرآن ككل

وجدناه يفسر بعضه بعضاً ، وعرفنا الإسلام على حقيقته ، تبين لنا أن هذا التضارب المزعوم ليس إلاَّ صورياً ، وانَّ حرية الإنسان هي القاعدة في الإسلام »[1] .

ونضيف توضيحاً لذلك أن الآيات الدالة على الجبر تتصل بقانون الطبيعة الذي جعله الله فيها تخضع له وتسير عليها باطراد . . كحركة الأفلاك والنجوم وسائر أنواع الخليقة وحوادث الطبيعة وما مجرياتها على الإنسان . أما الآيات الأخرىٰ التي تتصل بالإنسان فهي تدل على أن الإنسان حر في اختيار أفعاله وهو مسئول عنها .

تؤكد هذا المعنى الآية الكريمة ﴿ وإن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى وان سعيه سوف يرىٰ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ (النجم : ٣٩ ـ ٤٠) ، وأيضاً قوله تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر : ٣٨) . كما أن قوله سبحانه ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (الرعد : ١١) ـ وهذا كله بمعنى أن ما يجريه الله من تغيير على عباده مسبوق بما يجرونه هم في أنفسهم من تغيير أولاً .

فالإنسان كما يفهم من هذه الآيات سيد نفسه في تصرفاته ، مسئول عنها . . وفي مقدوره اختيار الطريق الذي يرتفع به إلى أعلى مستوى أو يهبط به إلى أدنى الدرجات بميوله وأعماله وليس نتيجة لخلق موروث أو طبيعة خيرة أو شريرة . ﴿ ألم نجعل له عينين ، ولساناً وشفتين ، وهديناه النجدين ﴾ (البلد : ٨ ـ ١٠) ، لقد زوَّد الله سبحانه الإنسان بقوى

---

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .